"ثورة الولاش في مدينة لاريسا ضد الدولة البيزنطية عام ١٠٦٦م" (*)

د/عماد أحمد حامد عبد العليم

مدرس تاريخ العصور الوسطي

كلية الآداب – جامعة السويس

المستخلص:

يسلط هذا البحث الضوء علي إحدى الثورات التي قامت ضد الدولة البيزنطة في القرن الحادي عشر الميلادي ألا وهي ثورة الولاش (الرومانيين) في مدينة لاريسا بمقاطعة تساليا تحت قيادة شخص يسمي نيقوليتاس ديلفيناس، وقد تمثلت الأسباب الرئيسية لقيام تلك الثورة في: مغالاة الإمبراطور البيزنطي قسطنطين العاشر دوكاس (١٠٥٧-١٠٦٧م) في فرض الضرائب علي الأهالي بسبب عجز ميزانية الدولة عن تمويل نفقات الجيش لصد هجوم كل من:النورمان في جنوب صقلية، والأتراك السلاجقة في آسيا الصغري، والكومان علي أراضي الإمبراطورية البيزنطية، علاوة علي ذلك من بين أسباب الثورة رغبة الطبقات الثرية في مدينة لاريسا في تحقيق الإستقلال الذاتي، وقد انتهي البحث إلي نتيجة مفادها أن تلك الثورة قد أخفقت في تحقيق أهدافها؛ لأن الإمبراطور البيزنطي نجح في نهاية المطاف من قمعها بعد أن قبض علي نيقوليتاس ديلفيناس وقام بسجنه في مدينة أماسية بآسيا الصغري.

الكلمات المفتاحية: الولاش، لاريسا، نيقوليتاس ديلفيناس، الضرائب، قسطنطين العاشر، الدولة البيزنطية.

(*) **مجلة المؤرخ المصرى، عدد يناير ٢٠٢٠، العدد ٥٦.**

“The Vlachs 's revolt in the City of Larissa against the Byzantine State in 1066”

By:Dr.Emad Ahmed Hamed
Faculty of arts
Suez University

Abstract:

This research highlights one of the revolutions that took place against the Byzantine state in the 11th Century, namely the Revolution of the Vlachs (the Aromanians) in the city of Larissa, Thessaly province, under the leadership of a person named Nikoulitzas Delphinas. The main reasons of this revolution are represented in the following points:Byzantine Emperor, Constantine X Ducas(1057-1067), exaggerated to levy taxes in order to compensate for the inability of the state budget to finance the expenses of the army which fights back Normans in southern Sicily, the Seljuk Turks in Asia Minor and the Cuman on the territory of the Byzantine Empire. Moreover, among the reasons of the revolution is the desire of the rich classes in the city of Larissa for achieving independence. The search concludes that revolution failed to achieve its goals because the Byzantine Emperor eventually succeeded in suppressing it following the capture of Nikoulitzas Delphinas and putting him under arrest in the city of Amaseia in Asia Minor.

Keywords: The Vlachs; Larissa; Nikoulitzas Delphinas;Taxes;Constantine X ; Byzantine State.

الدراسات السابقة

هناك بعض الدراسات الحديثة التي ألمحت لهذا الموضوع ويأتي في مقدمتها، البحث الذي أجراه "جاك رانسوف" Jake Ransohoff بعنوان:

Ransohoff (J):”Consider the Future as Present:The Paranoid World of Kekaumenos”,In,**Spec**,Vol.93,No.1,U.S.A:University of Chicago Press 2018 , pp.77-91.

وقد أشار "رانسوف" إشارة عابرة في مقدمة بحثه إلي ثورة الولاش في عام ١٠٦٦م، لكن دون أن يتناول شيئاً من أسبابها، أو أحداثها، أو نتائجها،

لكن بحثنا هذا تناول بالتفصيل جميع ما سبق.

إلي جانب ذلك هناك البحث الذي قامت به الباحثة البولندية "إيلونا كاماينسكا"Ilona Czamańska بعنوان:

Czamańska (I.):"Vlachs and Slavs in the Middle Ages and Modern Era", In, **R.H.**,Vol.41,Lublin: Uniwersytet Marii Curie-Skłodowskiej 2016,pp.11-24.

وكما هو واضح من العنوان أن البحث يتناول كلاً من الولاش والسلاف في العصور الوسطي وحتي العصر الحديث بيد أنه لم يُشِر قط إلي ثورة الولاش.

أيضًا هناك الورقة البحثية التي أعدها المؤرخ الروماني "ألكساندرو مادجارو"Alexandru Madgearu تحت عنوان:

Madgearu(A):"Vlach Military Units in the Byzantine Army", In, Samuel's State and Byzantium: History, Legend,Tradition, Heritage. Proceedings of the International Symposium "Days of Justinian I" (Skopje,17-18 October, 2014) .Panov ,M.B.(Ed.). Skopje 2015,pp.47-55.

وهو بحث قصير لا يتعدي عدد صفحاته ثمانِى صفحات، وقد تتبع فيه "مادجارو" وجود الولاش في الجيش البيزنطي منذ البداية، وقد أشار إلي قيام ثورتهم ضد الدولة البيزنطية عام ١٠٦٦م إشارة عابرة ولم يتحدث عنها بشىء من التفصيل.

وفيما يبدو لا توجد دراسة باللغة العربية – فيما يبدو – عن هذا الموضوع حتي الآن غير رسالة الباحثة سهام محمد عبد العظيم وهي تحت عنوان:" الثورات والفتن الداخلية فى الإمبراطورية البيزنطية وأثرها على العلاقات البيزنطية الإسلامية فى القرن الحادى عشر الميلادى"، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب–جامعة المنيا، عام٢٠٠١م، والتي ألمحت فيها إلي تلك الثورة في الحاشية فقط، لكن بحثنا هذا تناول تلك الثورة بالتفصيل. وقد أفاد

الباحث من تلك الرسالة في عدة أشياء لا سيما عند الحديث عن أسباب قيام الثورة.

هذا وقد أورد الباحث قائمة بالاختصارات التي ورد ذكرها في نهاية البحث.

مصادر البحث:

وهناك مجموعة من المصادر التي اعتمد عليها الباحث في معالجة هذا الموضوع ويأتي في مقدمتها الكتاب الذي ألفه المؤرخ البيزنطي "كيكومينوس" Kekaumenos، تحت عنوان: "المشورة"Strategikon ، ويعد هذا الكتاب ذا قيمة للمؤرخين لتصويره لعقلية الطبقة الأرستقراطية الإقليمية البيزنطية في العقد الأخير من القرن الحادي عشر، وخاصة العلاقات الاجتماعية، كما ظهر في الجزء الثالث. كما أنه يحتوي على الكثير من المعلومات غير المعروفة حول الأحداث التاريخية، وهو أول كتاب يسجل وجود الولاش في تساليا(١). و"كيكومينوس" هو كاتب ورجل حرب بيزنطي، ولد في جنوب إقليم مقدونيا Macedonia (٢) بين عامي١٠٢٠م، و١٠٢٤م، وتوفي بعد عام١٠٧٠م وحياته الشخصية غير معروفة، وينتمي إلي عائلة أرستقراطية ذات جذور أرمينية وسلافية مختلطة، وصل بعض أقاربه إلي وظائف مرموقة في الجيش البيزنطي خلال القرن الحادي عشر الميلادي، وشارك "كيكومينوس" في عام١٠٤١م في حملة عسكرية لإخماد التمرد الذي قام به "بيتر دليان Peter Deljan (١٠٤٠-١٠٤١م) قائد الإنتفاضة ضد الحكم البيزنطي في بلغاريا (٣)، وفي عام ١٠٤٢م شهد "كيكومينوس" عزل الإمبراطور ميخائيل الخامسMichael V (١٠٤١-١٠٤٢م) (٤)، وفي النهاية شغل وظيفة دوق لثغر (ثيم) Theme (٥)هيلاسHellas ببلاد اليونان في عهد الإمبراطور البيزنطي "قسطنطين التاسع مونوماخوس" Constantine IX Monomachos (١٠٤٢-١٠٥٥م)(٦)، وكان "كيكومينوس" يمتلك في تلك

المقاطعة سالفة الذكر عدة عقارات، كما عاشت أسرته فيها قرابة القرن من الزمان، وبعد تقاعده- كيكومينوس- قام بتأليف مصنفه "المشورة" بين عامي (١٠٧٥م و ١٠٧٨م)، وهو كتاب توضيحي ينم عن طريقة تفكير رجل عسكري حنكته التجارب والسنون، ويقدم من خلاله معلومات قيمة عن التنظيم العسكري البيزنطي، وعن الحياة الإقطاعية خلال القرن الحادي عشر الميلادي(٧).

إلي جانب ذلك هناك كتاب "التاريخ" Historia للمؤرخ البيزنطي "ميخائيل أطالياطيس "Michael Attaleiates (٨)، الذي تناول فيه الأحداث التاريخية الواقعة بين أعوام (١٠٣٤-١٠٨٠م)، وقد قام بترجمته إلي اللغة الإنجليزية كل من: " أنتوني كالديليس " Anthony Kaldellis، و"ديمتري كراليس"Dimitris Krallis ، وهو منشور في " مكتبة دمبارتون أوكس في العصور الوسطى الجزء السادس عشر"، طبعة جامعة هارفارد -لندن، عام٢٠١٢م.

Attaleiates(M.):The History,trans by:Kaldellis(A) & Krallis(D.),In, D.O.P. , Vol.16,London:Harvard University 2012.

فضلاً عن هذا، هناك كتاب "تاريخ بسللوس" The History of Psellusللمؤرخ البيزنطي "ميخائيل بسللوس Michael Psellos (١٠١٨-١٠٧٨م)(٩) وقد قام بتحريره مع إضافة الحواشي والتعليقات له "قنسطنطين ساثاس" Constantine Sathas (١٨٤٢-١٩١٤م)، طبعة لندن London عام١٨٩٩ م.

Psellos (M.): The History of Psellus: Sathas, C.(Ed.),London 1899.

إلي جانب ذلك هناك كتاب المؤرخ "حنا سيكليتس" John Skylitzes (١٠٤٠-١١٠١م) الذي عُنون بـ: "ملخص التاريخ البيزنطي"، وهو يغطي

التاريخ البيزنطي في الفترة من سنة٨١١م وحتي سنة١٠٥٧م، وقد قام بترجمته إلي اللغة الإنجليزية "حنا ويرتلي" John Wortley، طبعة جامعة كامبريدج عام٢٠١٠م.

Skylitzes(J.):A Synopsis of Byzantine History, 811-1057:trans.By.Wortley(J), Cambridge University Press 2010.

مقدمة:

بادئ ذي بدء وقبل الحديث عن ذلك التمرد الذي قام به الولاش(الرومانيون) بقيادة "نيقوليتاس ديلفيناس" في مدينة لاريسا Larissa[١٠] في عام ١٠٦٦م ضد الدولة البيزنطية، لابد من الحديث عن هؤلاء الولاش (الرومانيين) Aromanians وبداية ظهورهم في بيزنطة حتي قيامهم بالثورة. في واقع الأمر، لم يأتِ تسجيل اسم الولاش أو الرومانيين المقيمين جنوب الدانوب في المصادر البيزنطية من قبيل المصادفة، حيث أن وجودهم في التاريخ البيزنطي كان مرتبطًا بطريقة أو بأخري بمدي مشاركتهم في الجيش البيزنطي في الوقت الذي لم يكن لهم أية دولة أو وطن خاص بهم، وبطبيعة الحال لا يمكن ذكرهم في تلك المصادر ما لم يشاركوا فعليًا في الأحداث السياسية أو العسكرية للإمبراطورية البيزنطية[١١].

كان أول ذكر للولاش في إقليم مقدونيا، حيث ارتبط وجودهم هناك بحادثة مقتل ديفيد David [١٢]، شقيق القيصر البلغاري–فيما بعد– صموئيل Samuel(٩٩٧–١٠١٤م) عام ٩٧٦م على الطريق بين بحيرة بريسبا Prespa وكاستوريا Kastoria، وبسبب تلك الحادثة أطلق علي الولاش لقب "هوديتاي" hoditai بمعني(المسافرين) [١٣]، وقد كان هؤلاء الولاش المتورطون في جريمة القتل سالفة الذكر من بين حراس الطريق العسكري، ومن الراجح أنهم قاموا بتلك الجريمة بوصفهم نوابًا للسلطة البيزنطية هناك ضد تمرد البلغار آنذاك[١٤].

وإذا كانت تلك المعلومات سالفة الذكر غير مؤكدة، فهناك مصدر آخر أكثر دقة يكشف عن بداية وجود الوحدات العسكرية للولاش (أو التاجما

tagma)في الجيش البيزنطي، ألا وهو المؤرخ والأرستقراطي البيزنطي "كيكومينوس"؛ حيث ذكر أن جده المسمي "نيقوليتاس الأولI" Niculitzas، كان قائداً لجماعة الولاش في سنة ٩٨٠م، واستقر في ثغر هيلاسHellas، حيث قام الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني Basil II (٩٥٨ – ١٠٢٥م) بتعيينه في وظيفة أرغونarchon [١٥] على هؤلاء الولاش في الفترة ما بين عامي ٩٨٠-٩٨٣م[١٦].

ومن الراجح أن لقب "نيقولياتس الأول" – جد نيقوليتاس ديلفيناس – كدوق لهيلاس هو من باب المفارقات التاريخية ليس أكثر؛ وذلك لأن قائد ثيم هيلاس في تلك الفترة، كان يطلق عليه اسم" أستراتيجوس"strategos وليس دوقاً[١٧]، وطوال حياة "نيقوليتاس الأول" كان الأدواق (أو الكاتيبانو katepanoi) [١٨]هم الذين يحكمون الثغور وليس الاستراتيجوس، غير أن "كيكومينوس" ذكر أن جده "نيقوليتاس" كان هو قائد تلك المقاطعة [١٩].

أسباب قيام الثورة:

علي أية حال، هناك مجموعة من الأسباب والعوامل التي ساعدت علي قيام هذه الثورة لعل أهمها:

أولاً– الإسراف المالي:

في حقيقة الأمر، تعرضت الإمبراطورية البيزنطية لأزمة اقتصادية حادة خلال القرن الحادي عشر الميلادي كادت أن تعصف بها، وقد تمثلت تلك الأزمة في إسراف الأباطرة في إغداق الأموال علي أنفسهم وعلي بلاطهم الإمبراطوري وحاشيتهم، مع تقديم الهدايا والعطايا بسخاء، علاوة علي سياسة شراء سلم الأعداء وما تطلبته تلك السياسة، بطبيعة الحال، من دفع المزيد من الأموال الضخمة، وهو ما نتج عنه تفاقم الأزمة الاقتصادية، وقد عبر المؤرخ "ميخائيل بسللوس"عن ذلك بقوله: "إن الإمبراطورية ظلت تواجه خطراً وضعفاً

في جميع مواردها، تلك الموارد التي سرعان ما تلاشت"[٢٠].

ثانياً- زيادة الضرائب:

ولعل السبب الرئيسي في قيام تلك الثورة يرجع إلي الزيادة المفرطة في جباية الضرائب، فقد كانت الضرائب بالنسبة للدولة البيزنطية بمثابة فيض الأموال المتدفق والمدفوع نقدًا والذي مكنها من العمل بهيئة موظفيها المركزية الضخمة مع الاحتفاظ بجيشها [٢١]، ولا شك في أن تلك الزيادة في فرض الضرائب قد تسببت في حدوث التذمر والإستياء المتواصل بين رعايا الدولة البيزنطية، وقد لجأ أباطرة بيزنطة إلي فرض الضرائب خاصة بعد أن تعرض المركز التجاري للبيزنطيين للضعف لا سيما بعد ظهور منافسين تجاريين لهم أمثال البنادقة والبيازنة وغيرهم، وهو ما نجم عنه عدم وجود سيولة نقدية تكفي لتمويل المشروعات التجارية الضخمة[٢٢].

ومن ثم سارت الدولة البيزنطية علي سياسة بيع جمع الضرائب للجباة حتي تضمن الحصول علي موارد ثابتة للخزانة الإمبراطورية، علماً بأن تلك الضرائب لم تكن ثابتة في جميع أنحاء المقاطعات بل تنوعت تبعاً لإختلاف المنطقة، فبينما دفع أهالي القري ضريبة الأرض، كان سكان المدن يدفعون الضريبة الحضرية- نوع من الضرائب المفروضة علي الدخل-، علاوة علي ذلك كانت هناك رسوم مفروضة علي الوفيات وأصحاب التركات، وأخري عند التقاضي أيضاً، وكانت الضرائب مفروضة علي الجميع ولم يُعْفِ منها أحدٌ حتي أن أعضاء مجلس السيناتو أنفسهم كانوا يؤدون للإمبراطور البيزنطي ضريبة في المناسبات المختلفة مثلاً عند جلوسه علي العرش أو بمناسبة تحقيقه النصر علي الأعداء، إلي جانب ذلك فرضت الضرائب علي الباعة الجائلين وأصحاب الحرف المتنوعة، وكانت هناك رسوم مفروضة علي السلع المستوردة، ومكوس علي التجارة[٢٣].

وإحقاقاً للحق فعلي الرغم من سياسة فرض الضرائب التي اتبعها

الأباطرة البيزنطيون تجاه رعاياهم، فقد سعي بعضهم جاهدين طوال تاريخ الدولة البيزنطية من أجل تحسين أحوال الفلاحين والحد من نفوذ الطبقات الأرستقراطية، وليس أدل علي ذلك من قيام الإمبراطور "قسطنطين العاشر دوكاس"Constantine X Dukas (١٠٥٩-١٠٦٧م) [٢٤]-في بداية حكمه- بتخفيف العبء المالي لسلفه الإمبراطور "إسحاق الأول كومنين" Isaac I Comnène (١٠٥٧-١٠٥٩م) [٢٥]، حيث عُرف عن الأخير القسوة والعنف خلال محاولته إصلاح أحوال الدولة البيزنطية، وقد بذل الإمبراطور قسطنطين العاشر منذ توليه العرش جهدا جهيدًا من أجل إعادة الأمن والطمأنينة لرعاياه، كما قام بتخفيض الضرائب عن كاهل صغار الفلاحين من خلال تقليل قيمة العملة، وخفض مرتبات الجنود المرتزقة، وأغدق الأموال والعطايا علي جميع الأهالي خاصة موظفي الحكومة البيزنطية، وعمل علي إزالة الفوارق الاجتماعية بين سائر أبناء الدولة البيزنطية [٢٦]، حتي إنه لم يوجد تمييز بين العامل وعضو مجلس السيناتو علي حد تعبير المؤرخ البيزنطي "ميخائيل بسللوس"، بيد أنه ومع الأموال الكثيرة المتدفقة علي الميزانية الناتجة عن تلك السياسة المقتصدة، فإنها لم تكن كافية في حقيقة الأمر لسد النفقات العسكرية الضخمة اللازمة لدعم الدفاع العسكري، وهو ما نتج عنه وضع كارثي على كافة حدود الدولة البيزنطية [٢٧].

ثالثاً- إعفاء الأثرياء من الضرائب:

فضلاً عن ذلك، فقد أثرت سياسة إعفاء الأثرياء من دفع الضرائب التي اتبعها الأباطرة البيزنطيون تجاه كبار مُلاك الأراضي في تفاقم تلك الأزمة الاقتصادية، حيث نتج عنها قلة الموارد التي تحصل عليها الدولة من الضرائب، أيضاً تعرضت الإمبراطورية حينئذ للعديد من المجاعات والأوبئة مما أدي إلي نقص مواردها المادية والبشرية علي حد سواء، لا سيما وأن القرن الحادي عشر قد شهد انتشار عددٍ من الأوبئة والأمراض لعل أشدها خطورة

كان مرض الوباء الأسود (أو الطاعون) الذي انتشر في عام١٠٠٧م وراح ضحيته عدد كبير من الأهالي من العامة والخاصة معاً [٢٨].

رابعاً- تدهور قيمة العملة:

ولم تسلم العملة هي الأخري من التدهور، حيث فقدت استقرارها وسمعتها الدولية التي طالما تمتعت بها، لا سيما بعد أن قامت دور سك العملة بخلطها وتكوين سبيكة من معدن ردئ بناءاً علي أوامر الأباطرة مما أدي إلي تدهور قيمتها حتي أصبحت "النوميسما Nomisma [٢٩] لا تشتري مكيال قمح وهي التي لم تفقد قيمتها طوال خمسمائة عام، وفي عهد الإمبراطور "نقفور الثالث بوتانياتيس" Nikephoros III Botaneiates (١٠٧٨-١٠٨١م)[٣٠] شهدت العملة تدهوراً كبيراً ووصلت حوالي ثمانية قراريط من الذهب، كما تعرضت العملة الفضية والنحاسية إلي نفس الإنهيار[٣١].

خامساً- الهجمات علي الدولة البيزنطية:

في تلك الأثناء التي حدثت فيها ثورة الولاش في لاريسا عام١٠٦٦م تعرضت الدولة البيزنطية لهجوم العديد من الأعداء، حيث تسببت غزوات: الأتراك السلاجقة، والكومان Cuman (في خريف عام ١٠٦٤م) في حدوث الكثير من الأضرار، وفقدت الدولة البيزنطية ولاياتها الزراعية ذات الموارد الغنية والضخمة، خاصة الولايات الخصبة الواقعة في آسيا الصغري وذلك بسبب استيلاء الأتراك السلاجقة علي تلك المناطق، وكانت تلك الولايات هي المصدر الحيوي الذي أمد بيزنطة بكافة مواردها المادية والبشرية من: الأموال، والغلال، والمحاربين، فحرمت من كل ذلك خلال القرن الحادي عشر الميلادي بعد الغزو السلجوقي لها[٣٢]، وقد اضطر أهالي تلك الأقاليم إلي تركها وهجرتها علي أثر تعاقب الغزو عليها، فهاجروا إلي القسطنطينية مما أدي إلي تفاقم الأمور بها خاصة بعد تكدسها بالسكان مما نتج عنه كثرة الصراعات والفتن والحروب الأهلية [٣٣]، وينهض دليلاً علي ذلك ما أشار إليه المؤرخ" ميخائيل

أطالياطيس" حين ذكر قائلاً "إن الغزاة كانوا يخطئون عادة دون معارضة كما أنهم لم يتوقفوا عن الإفساد إلي أن تم القضاء عليهم بسبب الوباء"، ولا ريب في أن ذلك كله قد أوضح مدي العجز الذي لحق بالجيش البيزنطي في الدفاع عن البلاد[٣٤].

بالإضافة إلي ذلك، تعرضت الدولة البيزنطية لشن الهجوم علي الأراضي التابعة لها في بلاد اليونان علي يد النورمان في مملكة صقلية Sicily[٣٥]، حيث أدت توسعات النورمان في إيطاليا وجزيرة صقلية علي حساب أملاك الدولة البيزنطية في إيطاليا إلي تدهور أحوال بيزنطة الاقتصادية وخسارتها لكثير من الموارد والأقاليم الزراعية، حتي إن أعداءها الذين كانوا يتربصون بها الدوائر، كانوا يقومون بتهجير السكان في المدن بالقوة، وجردوها من صناعتها واستولوا علي تجارتها، ودفع الشعب البيزنطي الثمن، بعد أن روعتهم إغارات الأعداء، وأهلكهم الطاعون والمجاعة، وطحنتهم الأعباء الضريبية واستغلهم الرهبان والأثرياء سواء بسواء، ويرجع ذلك كله بسبب تخلي البيزنطيين عن طبيعتهم العسكرية وانشغالهم بالحروب الأهلية والنزاعات الداخلية[٣٦].

سادساً- إهمال الجيش :

علاوة علي ما سبق من أسباب قيام الثورة إغفال الإمبراطور قسطنطين العاشر دوكاس الإهتمام بالجيش البيزنطي، فعلي الرغم من أن انتماءه إلى أسرة أشتهرت بمن ظهر فيها من قادة وزعماء عسكريين، فإنه كان يكره الحياة العسكرية، وعلي الرغم من أنه قد اعتلي العرش الإمبراطوري بفضل تأثير الطبقة الأرستقراطية المدنية[٣٧]، فإن هذا الوضع وإقترانه بالعزوف عن الحياة الجندية أدى إلى اتباعه سياسة مخالفة لسياسة سلفه العسكرية، ففي فترة حكمه اكتمل تفكك نظام الجيش، فتقرر تقليل ما هو مقرر له من النفقات، وجري نقل

قادته، حتي أن مهنة الجندية التي طالما كانت تنطوي علي الهيبة، والشرف، والمكانة أيام مجد الإمبراطورية البيزنطية لم يعد لها أدني قيمة أو أهمية تذكر، لا سيما بعد أن ترك الجنود أسلحتهم جانباً وتحولوا إلي رجال قانون أو محلفين، ولم تكن الدولة البيزنطية حينذاك بحاجة بطبيعة الحال إلى مثل هؤلاء الآخيرين في الزود عن أراضيها، وليس أدل على التقليل من شأن قادة الجيش والاستخفاف بهم ما حدث في أحوال كثيرة من تعيين أشخاص مدنيين لقيادة الجيش، ومن قبيل احتقار الجنود ما حدث في بعض المناطق على أطراف الإمبراطورية التي لم يكن بها قوة عسكرية كافية، حتي إنه عندما كانت تتعرض الدولة البيزنطية للغزو أو الهجوم من جانب الأعداء كانت تقام صلاة عامة وكان الناس يلتمسون حدوث المعجزات من الله، وقد اتضح أمام الإمبراطور قسطنطين العاشر دوكاس أن شراء السلام من البرابرة لأقل تكلفة من إعداد الجنود لقتال هؤلاء المتبربرين، ومن الراجح أن ذلك كان هو النصر النهائي الذي حققه الحزب المدني، ولم يجد الأتراك السلاجقة في آسيا الصغري الصغرى، والبشناق، والغز في شبه جزيرة البلقان، من يتصدي لهم أثناء زحفهم. والواقع أن قسطنطين العاشر مضى في إهماله أمر الجيش، وأدرك هذه الحقيقة فئة من أقرب المستشارين إلى قلبه، حيث أعلن "ميخئيل بسللوس" أن من أشد الأخطاء الجسيمة التي ارتكبها الإمبراطور، أنه غض الطرف عما كان عليه الجيش البيزنطي من اضطراب في نظامه، في وقت تعرضت فيه الدولة البيزنطية لضغط الأعداء من جميع الجبهات. ولعل السبب في ذلك يرجع من جهة، إلى الخوف من ازدياد نفوذ الطبقة الأرستقراطية العسكرية[٣٨] بعد أن استولي إسحاق كومنين علي العرش، ومن جهة أخرى، إلى الضيق المالي الذي فرض سياسة التوفير على الجيش، بينما ازدادت نفقات الإدارة الحكومية كلما زاد عدد الموظفين، كما جرى الإكثار من بذل الهبات علي رجال الدين، التماسا لرضاهم وعطفهم، وبذلك تضافرت المطامع السياسية للطبقة الحاكمة، مع المشاكل المالية، في تقويض أسباب الدفاع عن الإمبراطورية[٣٩].

سابعاً- الزلازل وآثارها:

إلي جانب ذلك كان للزلازل والهزات الأرضية أثرها الكبير في إحداث الدمار والخراب الشامل مما نجم عنه قيام الأزمات الاقتصادية ومغالاة الأباطرة في فرض الضرائب(٤٠)، ومما ينهض دليلاً علي ذلك الزلزال الذي حدث في عهد الإمبراطور قسطنطين العاشر دوكاس في الثالث والعشرين من شهر سبتمبر عام١٠٦٣م- أي قبل حدوث تمرد الولاش في لاريسا بثلاث سنوات -، وقد تحدث عن هذا الزلزال المؤرخ "ميخائيل أطالياطيس"، حيث ضرب ذلك الزلزال الدولة البيزنطية، وعلي الرغم من أنها قد شهدت قبله عدة زلازل لكنها لم تكن بنفس الشدة وقوة التأثير مثلما كان هذا الزلزال، حيث شمل عدة مناطق بالدولة البيزنطية علي عكس ما سبقه من زلازل وعاد بعواقب وخيمة الأثر علي بيزنطة (٤١).

أحداث الثورة:

علي أية حال، وقعت تلك الثورة أثناء حكم الإمبراطور البيزنطي قسطنطين العاشر دوكاس، وقد بدأت أحداثها بذهاب " نيقوليتاس ديلفيناس " إلي القسطنطينية في ربيع عام ١٠٦٦م لتقديم تقرير شفهي للإمبراطور البيزنطي عن تخطيط الولاش من سكان لاريسا للقيام بالثورة ضد الإمبراطور سالف الذكر بسبب الاحتجاج علي زيادة الضرائب المفروضة عليهم، بيد أن الإمبراطور البيزنطي لم يقابله (٤٢).

في واقع الأمر كانت مدينة لاريسا والمنطقة المجاورة لها وقت اشتعال الثورة مكونة من خليط من الأجناس مختلفة الأعراق، فقد كان منهم: اليونان Greeks، والبلغار Bulgarians، والولاش (أو الأرومانيين Aromanians) و شارك جميعهم في الثورة؛ لأنهم تعرضوا بنفس القدر للزيادة الضريبية، وإن كان الولاش قد حاولوا معارضة الزيادة الضريبية للدولة البيزنطية علي الدوام(٤٣)،

وكانوا في حقيقة الأمر يشكلون غالبية السكان المشتركين في تلك الثورة، لدرجة أنه بعد مرور قرنين من الزمان صار يطلق على منطقة تساليا اسم "ولاشيا العظمي"Great Vlachia ؛لأن الغالبية العظمي من سكانها كانوا من الولاش [٤٤]. كان دور الولاش (الرومانيين) في تلك الثورة بالغ الأهمية ؛وذلك لتأثرهم دون غيرهم بالزيادة الضريبية التي فرضها عليهم الإمبراطور البيزنطي، وذلك منذ أن تضخمت ثرواتهم وصاروا أثرياء بفضل اشتغالهم برعي الأغنام والماعز، وقد كتب "كيكومينوس" قائلاً: إن قادة المؤامرة قد عقدوا اتفاقاً فيما بينهم وبين الولاش ووصلوا إلى منطقة تساليا من ناحية الشمال قبل نهاية القرن العاشر الميلادي [٤٥].

أما عن "نيقوليتاس ديلفيناس" قائد جموع الولاش في تلك الثورة، فيمكن القول: إنه كان أحد الأرستقراطيين في مدينة لاريسا، المدينة الرئيسية وعاصمة مقاطعة تساليا، وكان ينتمي إلي عائلة مرموقة طالما تمتعت بالأمتيازات التي منحتها لها الدولة البيزنطية لا سيما منذ النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي، وكان جده وسميه "نيقوليتاس الأول"، دوق لثغر هيلاس ببلاد اليونان منذ سنة ٩٨٠م، كما كان حاكمًا (أرغوناً archon)علي الولاش أيضاً و استقر في نفس المقاطعة[٤٦]، هذا ولم يحدد المؤرخ "كيكومينوس" الوظيفة التي كان يشغلها قريبه "نيقوليتاس ديلفيناس" وقت حدوث التمرد–أي في سنة ١٠٦٦م–، و من الجائز أن "نيقوليتاس" كان يشغل حينذاك وظيفة دوق لثغر هيلاس علي غرار جده واسمه "نيقوليتاس الأول[٤٧]، كما كان يحمل في الوقت نفسه لقب "بروتوسباثاريوس" protospathariow [٤٨] علي الرغم من صغر سنه لتولي تلك الوظيفة[٤٩]، حيث كانت الوظيفة سالفة الذكر شائعة الإستخدام في وصف منصب استراتيجوس المدينة، ومن ثم يمكن القول: إن " نيقوليتاس ديلفيناس" كان يشغل بالفعل استراتيجوس لمدينة لاريسا وقت حدوث الثورة [٥٠].

افترض أحد المؤرخين أن "نيقوليتاس ديلفيناس" لم يكن يشغل أية وظيفة رسمية في تلك الأثناء، وأن الدور الذي قام به في أحداث الثورة لا يعكس سوى

مكانته الاجتماعية المتميزة كأحد كبار مُلاك الأراضي في مدينة لاريسا آنذاك[٥١]، ومع ذلك يبدو هذا الرأي غير مقنع، لأنه إذا لم يكن نيقوليتاس صاحب مقام رفيع، فإنه لم يكن بالشخص المناسب الذي يصلح للتعامل مع الإمبراطور البيزنطي، والرأي الراجح أنه كان يشغل وظيفة استراتيجوس لمدينة لاريسا وقت حدوث الثورة[٥٢]وفي ضوء ذلك يمكن التأكيد على أن نيقولياتاس، ورجاله، والقوات، والمدينة، والمنطقة كلها كانوا جميعاً تحت إمرته وطاعته [٥٣]، في تلك الحالة، فإن المنطقة كانت تشير إلي المنطقة الريفية المحيطة بمدينة لاريسا، وليس مقاطعة هيلاس province of Hellas (التي كانت تضم كل من تساليا Thessaly وأخايا Achaia). حتى ولو لم تكن القوات العسكرية من القوات الحارسة للقلعة، فإنها كانت قوات خاصة وأن تلك القوات كانت تحت إمرة شخص واحد كان في الوقت ذاته يشغل وظيفة الاستراتيجوس [٥٤]

علي أية حال، وكما سبق القول توجه " نيقوليتاس ديلفيناس " إلي القسطنطينية ربيع عام ١٠٦٦م–بعدما علم من جواسيسه أن الولاش يخططون للقيام بالثورة ضد الإمبراطور البيزنطي –لمقابلته وتحذيره من مغبة حدوث الثورة بسبب زيادة الضرائب المفروضة علي الأهالي هناك، وما إن وصل إلي هناك، حتي طلب مقابلة الإمبراطور بشكل شخصي، لكن "جورج كورينثوسGeorgios Korinthios حاجب الإمبراطور قام بمنعه؛ لأنه- نيقوليتاس - طلب مقابلة الإمبراطور بشكل خاص وليس في الاجتماع العام[٥٥].

بعدما أخفق نيقوليتاس في رؤية الإمبراطور قسطنطين العاشر دوكاس، مكث في القسطنطينية ما يقارب الشهر أجري خلاله العديد من المحاولات الفاشلة لمقابلته الإمبراطور لإخباره المزيد من التفاصيل بشأن المؤامرة، ثم غادر عاصمة الدولة البيزنطية وهو يجر أذيال الخيبة خلفه لا سيما بعد أن سرت شائعة في القسطنطينية بقدوم "روبرت جويسكارد" Robert Guiscard، ملك صقلية النورماني (١٠٥٩-١٠٨٥م) من أجل شن الهجوم علي القسطنطينية،

ذلك أن الأخير أراد أن يضفي علي هجومه علي الممتلكات البيزنطية في إيطاليا مزيداً من الشرعية، فأتصل بالبابا نيقولا الثاني(١٠٥٧-١٠٦١م) Nicola IIوعقد معه معاهدة في مدينة أمالفي Amalphiالإيطالية في عام ١٠٥٩م، وقد منحه البابا بمقتضي تلك الإتفاقية لقب دوق علي أبوليا وكلابريا، ثم لقب سيد علي جزيرة صقلية، وهو بلا ريب إعتراف من البابوية بالوجود النورماني في إيطاليا، وفي مقابل ذلك أعترف روبرت جويسكارد بتبعيته للبابوية مع دفع مبلغ من المال سنويًّا لها، وبذا تمكن روبرت جويسكار من أن يعطي لنفسه غطاء روحي قوي ساعده في الاستيلاء علي ما تبقي لبيزنطة من ممتلكات في إيطاليا خاصة في كل من صقلية، وكلابريا، وأبوليا في سنة ١٠٥٩م، كما تمكن في السنة التي تلتها-أي سنة١٠٦٠م-من الإستيلاء علي ريجيو Reggio، وبرنديزي Brindisi، وتارنتو Taranto، ولم يبقِ للدولة البيزنطية من ممتلكاتها في إيطاليا غير عاصمتها باريBari الحصن القوي الذي يقع علي الساحل(٥٦).

علي أية حال عاد نيقوليتاس إلي مسقط رأسه في مدينة لاريسا بعدما فشل في مقابلة الإمبراطور البيزنطي، وما إن وصل هناك، حتي وجد أن الولاش قد أعلنوا القيام بالثورة منددين بالسياسة المالية التي أتبعها الإمبراطور قسطنطين العاشر بسبب تماديه في فرض المزيد من الضرائب عليهم. في بداية الأمر حاول نيقوليتاس أن يثني هؤلاء الولاش عن المضي قدمًا في هدفهم من أجل القيام بالثورة، وذلك عن طريق بث الرعب والخوف في نفوسهم من أنهم سوف يتعرضون هم وعائلاتهم وممتلكاتهم للهجوم من جانب الجيش الإمبراطوري إذا تمادوا في ثورتهم، لكن يبدو أن الولاش قد وصلوا إلي درجة كبيرة من اليأس والإحباط، بسبب الزيادة المفرطة في الضرائب و سرعان ما أقنعهم بقية سكان المدينة -لاريسا- بالبقاء مخلصين علي نواياهم الأولى للثورة، وقد وصل تصميمهم إلى الحد الذي جعلهم يقومون بتهديد بنات وإخوة "نيقوليتاس" الموجودين آنذاك في المدينة بالقتل أو الحرق إن لم يقم الأخير

بقيادة تمردهم وتسليحهم ضد الإمبراطور البيزنطي، حينئذ أدرك "نيقوليتاس" أنه ليس لديه خيار آخر سوى تلبية مطالب الثوار وأن يصبح قائداً عليهم [٥٧].

لقد زعم المؤرخ" كيكومينوس" أن "نيقوليتاس ديلفيناس" حاول في البداية منع حدوث التمرد لكي يبدو في صورة التابع المخلص والموالى للإمبراطور البيزنطي، لكنه ما إن فشل في ذلك حتي اختار أن يكون قائدًا للتمرد معتقدًا في قرارة نفسه أنه بذلك سوف يملك القدرة على السيطرة عليه ووقفه. في غضون ذلك سارع نيقوليتاس بإرسال تقرير مكتوب للإمبراطور البيزنطي عن المخاطر التي من الممكن أن تحدث من جراء تفاقم هذا الوضع، حيث ذكر له قائلاً:" على أية حال، لقد أبلغتك شفهيًّا من قبل أن التمرد قد يحدث، لذلك، كتبت إليك عن ذلك [.....] مرة أخرى بعد وصولي إلى موطني، هل تصدق أنهم الآن قد تمردوا وجعلوني قائدا عليهم، أحمد الله، أن لديّ جيش، ويمكنني قمع هذا التمرد إذا قررت الإصغاء إلي كلامي وإيقاف الزيادات الضريبية والقرارات الغاشمة التي فرضتها عليهم"[٥٨]. وبالرغم من ذلك كله لم يَتَلقَّ "نيقوليتاس" أي رد من الإمبراطور وشعر بعجزه في ممارسة نفوذه لإخماد التمرد خاصة وأنه لم يكن لديه إذن إمبراطوري رسمي للقيام بهذا العمل [٥٩].

وللتعقيب علي الإصرار القوي للولاش في مدينة لاريسا لجعل "نيقوليتاس" هو قائد ثورتهم يمكن القول: إن الزخم الثوري الأول لهؤلاء الولاش لم يكن في حقيقة الأمر كافياً لتحقيق أهدافهم، فقد كانوا يرون أن عدم وجود "نيقوليتاس ديلفيناس" بينهم سيكون مخيباً لآمالهم، ومن ثم أصروا علي وجود ممثل قوي للأرستقراطية المحلية يكون قادرًا على تنسيق العملية برمتها، وعلي ما يبدو أن المكانة المرموقة لعائلة نيقوليتاس في المجتمع البيزنطي التسالي كانت بمثابة الورقة الرابحة في أيديهم من أجل إنجاح المشروع كله، ومن ثم حرصوا على ضرورة إشراكه معهم [٦٠].

والسؤال الذي يطرح نفسه علي بساط البحث هو: لماذا كان وجود نيقوليتاس بين الثوار مهمًّا للغاية من أجل نجاح خطتهم إلى الحد الذي جعلهم متحمسين لسماع قرار انضمامه إليهم؟ لقد بررت المؤرخة اليونانية "هيلين أرفيلر" Helene Ahrweiler (١٩٢٦-؟) ذلك بأن سكان المقاطعة البيزنطية قد سعوا في محاولة منهم للدفاع عن أنفسهم ضد سوء تصرف مسؤولي الدولة البيزنطية إلى دعم الشخصيات المحلية القوية القادرة على تزويدهم بفرص الحماية والعيش بحياة كريمة[٦١]، علاوة علي ذلك كانت علاقة "نيقوليتاس" بصغار الفلاحين الذين يعملون في أراضيه طيبة للغاية أكثر من علاقة مُلاك الأراضى الآخرين مع أتباعهم، حيث شعر هؤلاء الثوار الولاش بأن نيقوليتاس بمثابة الرحمة المهداه لهم من السماء واعتبروه مكافأة لهم، ومن ثم تمتع نيقوليتاس بإحترامهم وطاعتهم، وينهض دليلاً علي ذلك أن الثوار الولاش في إجتماعهم الأول معه–أي نيقوليتاس–قد أطلقوا عليه لقب "الأب" و"السيد" معبرين في الوقت نفسه عن رأي مفاده أنه سيكون من الظلم المضي قدماً في خططهم بدونه[٦٢]. وتنعكس ثقتهم الكاملة به، من خلال قرارهم بتكليفه بالمسؤولية لقيادة الثورة، على الرغم من علمهم بأن انضمام نيقوليتاس إلي صفوفهم سوف يشكل خطورة كبيرة عليه وقد يتهم بالخيانة العظمي للإمبراطور البيزنطي وهو ما قد حدث بالفعل فيما بعد[٦٣].

علي أية حال، بع دما خضع نيقوليتاس في نهاية المطاف لتهديد الثوار الولاش ووافق علي مضض منه قيادة جموعهم، استقبل في منزله–بعد مضي فترة وجيزة من الوقت–وفداً من زعماء الولاش المشاركين في التمرد أملاً في تغيير رأيهم من أجل إيقاف تأجج نيران الثورة أو تأجيلها علي أقل تقدير، وقد كان من بين هؤلاء الثوار كل من:"سلافوتا كارمالاكيس" Slavota Carmalakis، و"جريجوريوس بامباكا "Gregorios Bambaka، و"تيودور سكريبون بيتاستو"Theodor Skribon Petasto الذي كان يعمل ضابطاً، حيث كان يلي رتبة عليا في التاجما tagma (أي فيلق الجيش)، وكان يأتي في المرتبة الثالثة

بعد القائد (الدمستيق domestikos)، و"جون جريميانيتيس" Ioannes Gremianites، الذي كان يشغل منصب "بروتوسباثاريوس"من قبل [٦٤].

وهكذا يتضح أن الدور الحاسم في ثورة لاريسا قد اضطلع به عدد من الشخصيات البارزة من الولاش من سكان المدينة نفسها، حيث كان بعضهم يلي رتبة عسكرية، وتطور الأمر فصاروا زعماء للمواطنين، حتي إن المؤرخ "كيكومينوس" قد أطلق عليهم اسم" سينكاستريتاي "synkastritai (أي المواطنين) وهي الكلمة التي كانت ترمز عادة إلي تشكل فكرة المجتمع الحضري كهيئة واعية، وقد اعتمد وضعهم السياسي والاقتصادي على أساس الثروات التي كانت بأيديهم، والتي اعتمدت بصفة خاصة علي رعي الأغنام والماعز، بيد أن كل تلك الأشياء قد تأثرت في حقيقة الأمر بزيادة الضرائب التي فرضها الأباطرة البيزنطيون عليهم [٦٥].

ومهما يكن الأمر، لم يحدد المشاركون في تمرد لاريسا أهدافهم السياسية، والتي تم تسليط الضوء عليها في رواية "نيقوليتاس"، حيث تجنب الأخير في كتابه استعمال المصطلحات التي تشير إلي التمرد ضد الإمبراطور البيزنطي، لكنه كان يشير دوماً إلى تاريخ حدوثها، وقد أورد أحداث الثورة في مصنفه لكي يؤكد علي هدفين هما:الهدف الأول وهو رغبته في إظهار مدى خطورة المشاركة في تمرد ضد الإمبراطور البيزنطي، أما الهدف الثاني فقد كان من أجل تبرير الأعمال التي قام بها قريبه "نيقوليتاس ديلفيناس" أثناء فترة التمرد، حيث حاول التقليل من ذنب قريبه نيقوليتاس، وألصق تهمة القيام بالثورة كلها إلى الولاش و الزعماء المحليين في مدينة لاريسا.ووفقًا "لكيكومينوس" لعب نيقوليتاس دورًا مهمًّا في توجيه مسار الثوار بطريقة حكيمة، حيث عمل علي وقف المطالب السياسية الجذرية للمتمردين للثوار مثل الإطاحة بالإمبراطور أو إستقالة وزراء أو ولاة، واقتصروا فقط على المطالبة بإلغاء الزيادة الضريبية المجحفة[٦٦].

وكيفما كان الأمر، بعد أن عسكر نيقوليتاس بجنوده بالقرب من بلدة "فارسالا" Pharsala بوسط اليونان مع عدد كبير من الولاش والبلغار، انفصلت فرقة من جيشه ونجحت في الإستيلاء على قلعة "كيتروس"Kitros (الواقعة في بيريا الحالية Pieria). بعد ذلك كان الهدف التالي للمتمردين هو التوجه نحو مدينة "سيرفيا" Servia المجاورة لتساليا والمسيطرة علي الطريق الرئيسي من تساليا إلي مقدونيا، و بعد حصار دام ثلاثة أيام تمكنوا من الإستيلاء عليها هي الأخري(٦٧).

كان الغرض من ذلك الهجوم هو التقدم نحو مقدونيا عن طريقين هما: سيرفيا وكيتروس، ثم التقدم منهما تجاه تسالونيكThessalonik، عن طريق " فيا إجناتيا Via Egnatia " (الطريق الذي يربط ديراتشيون Dyrrachion وسالونيك). وقد كانت هذه العمليات العسكرية هي المتاحة أمام الثوار لأن الأخيرين كان يقف بجانبهم ويساندهم جنود نيقوليتاس الخاضعون له، غير أن المؤرخ "كيكومينوس" أغفل هذا الأمر في مصنفه ولم يؤكده، واحتفظ لنفسه بسبب وجيه من أجل هذا الإغفال؛ لأن مشاركة القوات التي كان يقودها نيقوليتاس كانت في حد ذاتها تمثل خطأ كبيرًا لا يمكن أن يغفره له الإمبراطور البيزنطي، لا سيما وأن كيكومينوس قد حاول جاهداً من جانبه إظهار قريبه نيقوليتاس بمظهر التابع المخلص للإمبراطور(٦٨).

لا ريب في أن مشاركة جنود نيقوليتاس في الهجوم علي قلعة سيرفيا كان يعد بطبيعة الحال عملاً من أعمال الخيانة للإمبراطور قسطنطين العاشر دوكاس، وقد رد الأخير في نهاية المطاف علي التقرير الذي أرسله نيقوليتاس له، فقرر علي الفور سحب القرارات التي أصدرها، مع الإلتزام بالعفو العام عن زعماء التمرد، وإلغاء الزيادة الضريبية، بيد أن قراراته تلك يبدو أنها قد تأخرت كثيرا لأن الولاش سرعان ما استولوا علي مدينة سيرفيا في شهر سبتمبر عام١٠٦٦م ودب في نفوسهم الحماس وقرروا العمل علي مواصلة تمردهم، عندئذ قام نيقوليتاس بإلقاء القبض علي اثنين من زعماء الولاش وهما: "سلافوتا

كارمالاكيس" Slavota Carmalakis، و"تيودور سكريبون بيتاستوس" Theodor Skribon Petasto عندما قررا مواصلة التمرد حتي بعد صدور قرار العفو الذي أصدره العاهل البيزنطي ضد المتمردين، سارع نيقوليتاس علي الفور، وهو راضٍ عن النتيجة التي أفضي إليها التمرد بهذا الشكل، وعمل علي تشكيل وفد من الولاش للذهاب إلي "أندرونيقوس فيلوكاليس" Andronikos Philokales حاكم ثغر بلغاريا والممثل الرسمي للسلطة البيزنطية في المفاوضات مع المتمردين، بعد ذلك توجه نيقوليتاس إلي القسطنطينية من أجل تحقيق الوعود الإمبراطورية [٦٩].

ما إن وصل نيقوليتاس إلي القسطنطينية حتي أمر الإمبراطور قسطنطين العاشر بإلقاء القبض عليه ونفيه إلي مدينة أماسية Amaseia علي ساحل البحر الأسود في آسيا الصغري، حيث تم سجنه هناك وظل في محبسه إلي أن قام "رومانوس الرابع ديوجينوسRomanos IV Diogenes (١٠٦٨-١٠٧١م) [٧٠] بإطلاق سراحه في عام ١٠٦٨م ؛وذلك لأن نيقوليتاس ظل هو المشتبه الوحيد أمام الإمبراطور في القيام بالثورة وذلك علي الرغم من الجهود الأخيرة التي قام بها من أجل تهدئة الوضع بين صفوف الثوار الولاش، ولم يحترم الإمبراطور قسطنطين العاشر الوعد بالعفو الذي أصدره له وبدلاً من أن يقوم بمكافأته نظير قيامه بهذا التسليم الهادئ للتمرد قام بسجنه [٧١].

وعلي هذا النحو انتهت ثورة الولاش في لاريسا بهذا الشكل المؤسف والسريع، وظل نيقوليتاس -حتي بعد نفيه في مدينة أماسية - محافظاً على وضعه وامتيازاته، وكان يعمل دائما علي توسيعها بفضل صلته بالعديد من الأشخاص الذين لعبوا أدواراً مهمة في الدولة البيزنطية أمثال: "رومانوس الرابع ديوجينوس"، والخصي "نقفورتزيس" Nikephoritzes [٧٢] وهما اللذان لعبا دورًا حيوياً -فيما بعد- في حكومة الإمبراطور "ميخائيل السابع دوكاس" Michael VII Ducas (١٠٧١-١٠٧٨م)، علاوة علي ذلك، فقد كانت لدي نيقوليتاس

القدرة على فرض سيطرته ونفوذه بسهولة علي المستوي المحلي، من خلال مساعدة جواسيسهم وشركائه المقربين له، والذين كانوا منتشرين في كل مكان وينقلون له الأحداث الجارية يوما بيوم، كما أنه–أي نيقوليتاس– كان يجمع في يديه السلطتين المدنية والعسكرية، ولم يفرض سيطرته على مدينة لاريسا ومنطقتها فحسب، بل أنه جعل "أندرونيقوس فيلوكاليس" البلغاري، يعجب بشخصه أيضًا [٧٣].

زعم أحد المؤرخين أن نيقوليتاس لم يكن مخلصاً للإمبراطور قسطنطين العاشر بالفعل، وفي حقيقة الأمر إذا أمعنا النظر في أحداث تلك الثورة؛ فإننا نعبر عن مدي شكنا في مدي إخلاصه، ذلك أنه خلال الفترة التي وقعت فيها ثورة الولاش في مدينة لاريسا، تم تنظيم ثورة أخري في القسطنطينية ضد الإمبراطور نفسه علي يد "رومانوس الرابع ديوجينوس" –الذي اعتلي عرش الإمبراطورية البيزنطية فيما بعد بين عامي (١٠٦٨–١٠٧١م)–عندما كان دوقاً لمدينة سيرديكاSerdica (صوفياSofia) [٧٤]، غير أن التاريخ الدقيق لقيام المؤامرة سالفة الذكر غير معروف، وعلي ما يبدو أنها حدثت قبل وقت قصير من وفاة الإمبراطور قسطنطين العاشر دوكاس(أي في٢٢ مايو عام ١٠٦٧م)، وطبقاً لكلام "كيكومينوس" كان"نيقوليتاس" علي علاقة صداقة وطيدة مع"رومانوس الرابع ديوجينوس" منذ أن كان الأخير يشغل وظيفة دوق لمدينة صوفيا، وبعد أن اعتلي العرش الإمبراطوري، قام "رومانوس ديوجينوس" بإطلاق سراح "نيقوليتاس ديلفيناس" من السجن، بل وأكثر من ذلك عينه بوظيفة مرموقة في الأسطول البيزنطي[٧٥].ومن الصعب بمكان التكهن بموقف رومانوس الرابع ديوجينوس تجاه نيقوليتاس ما إذا كان يدل على رأفته به، أو تواطئه معه في قيادة ثورة الولاش، كما لا يمكن التكهن أيضاً ما إذا كان رومانوس ديوجينوس قد بدأ ثورته في الوقت الذي كانت فيه ثورة الولاش لا تزال قيد التقدم (أي قبل شهر سبتمبر عام ١٠٦٦م)، ومع ذلك لا يستبعد أن يكون هناك عملٌ مشتركٌ بين الرجلين[٧٦]

أفترض العديد من المؤرخين أن الثوار الولاش قد خططوا للتعاون العسكري المشترك مع "روبرت جويسكارد" ملك النورمان في صقلية، وهو الذي قام بعد فترة قصيرة بشن حملة عسكرية ضد الدولة البيزنطية، وبالتحديد ضد إقليم مقدونيا(٧٧)، وتوضح الأحداث المذكورة في كتاب المؤرخ "كيكومينوس" أن طريق أجناتيا Via Egnatia –الطريق الرئيسي الذي استخدمه جويسكارد في هجومه علي إقليم مقدونيا– كان هو نفس الطريق الذي استخدمه المتمردون الولاش في هجومهم، وكان من المفترض أن هؤلاء الثوار يأملون في القيام بمهاجمة السكان في ثغر بلغاريا، وهو الثغر الذي كان يحكمه شخص يسمي "أندرونيقوس فيلوكاليس " Andronic Philokales، وقد كان الأخير متأهباً لبدء هجوم مضاد ضد الثوار الولاش، مما يعني أنه كان مدركاً تمام الإدراك لمدي خطورة تلك الثورة. في الواقع، اتخذ نيقوليتاس قرارًا حاسماً بالقبض على زعماء ذلك التمرد فقط عندما تسلم رسالة الإمبراطور البيزنطي من "أندرونيقوس فيلوكاليس"(٧٨).

نتائج الثورة:

لعل أهم نتيجة لتلك الثورة هي فشلها في تحقيق أهدافها لا سيما بعد أن ألقي الإمبراطور قسطنطين العاشر دوكاس القبض علي" نيقوليتاس ديلفيناس" قائد الثوار الولاش في لاريسا وقام بسجنه في مدينة أماسية بآسيا الصغري، وبذلك فشل الثوار في إجبار الإمبراطور البيزنطي علي إلغاء الضرائب أو التقليل منها علي أقل تقدير، كما فشلوا كذلك في التحرر من سيطرة قبضة الحكومة البيزنطية المركزية المتسلطة عليهم بعد القبض علي قائدهم الذي كانوا ينظرون إليه كإمبراطورهم المستقبلي والذي سوف يخلصهم من ربقة الحكم البيزنطي(٧٩).

في واقع الأمر، لم تكن ثورة الولاش في سنة١٠٦٦م تطمح في البداية

إلى الإستقلال عن الدولة البيزنطية على غرار حركات التمرد السابقة التي حدثت بسبب زيادة فرض الضرائب وقام بها البلغار بقيادة كل من "بيتر دليان" Peter Delyan عام١٠٤٠م، و"قسطنطين بودين" Constantine Bodin في عام١٠٧٢م [٨٠]، فقد أعربت مواجهة الثوار للسياسة المالية للإمبراطور البيزنطي عن الرغبة في الحكم الذاتي، حيث ظلت الطبقة الجديدة–الأغنياء– التي ظهرت في المدن يحدوها الأمل بين الحين والآخر من أجل تحقيق الإستقلال، خاصة بعد أن تولوا المناصب المرموقة في المجتمع والدولة سواء بسواء، وقد نمت ثرواتهم وأموالهم الخاصة عن طريق المناطق المحيطة بهم، وقد انزعج هؤلاء الأثرياء (أو الأراغنة) من السيطرة القوية التي ظلت الدولة البيزنطية تمارسها عليهم، خاصة بعدما أصدر الأباطرة عدة قوانين خلال القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين للحد من القوة المتنامية لمُلاك الأراضي هؤلاء، وذلك رغبة منهم –أي الأباطرة– في حماية الممتلكات العسكرية الصغيرة، ولما كان الجيش يعتمد بشكل أساسي على القوى العاملة من مُلاك الأراضي الصغار، فقد كان لزاما علي الدولة البيزنطية أن تقوم بتقليل الضغط المتزايد الذي يمارسه هؤلاء المُلاك علي أقرانهم من صغار مُلاك الأراضي، بيد أن الأمور سرعان ما تبدلت بعد وفاة الإمبراطور باسيل الثاني عام (١٠٢٥م)، حيث تم تحويل الجيش البيزنطي النظامي إلى جيش مدفوع الأجر من المرتزقة، مما جعل هذا القلق بلا جدوى، في حين أن زيادة نفوذ الطبقة الارستقراطية في ظل وجود السلطة الإمبراطورية قد ساعد علي تدعيم طموحات رجال المقاطعات الأثرياء، سادة "أويكوي "oikos (أي الأرستقراطيين المقيمين في المدينة)، وجعلتهم ثرواتهم وقواتهم يحظون بنوع من الحكم المحلي سواء في المدن الصغيرة أو المتوسطة[٨١].

خلاصة القول: بعد فشل الولاش في مساعيهم من أجل الحصول على الاعتراف بهم من جانب الحكام البيزنطيين، تطلعوا إلي الحصول علي المساعدة من الغرب الأوربي، فلجأوا في بداية أمرهم إلي الإمبراطور الألماني

فريدريك باربا روسا Frederick Barbarossa(١١٥٥-١١٩٠م) وطلبوا منه الإعتراف بدولتهم في مقابل تقديم العون له ضد بيزنطة، بيد أن الأخير رفض هذا العرض؛ لأنه لم يكن يرغب في الدخول في صراع مع الدولة البيزنطية، فقد كان يريد أن يبقى في حالة سلم معها، ومع ذلك، فإن قيامه بتقديم المساعدة العسكرية للولاش كانت مهمة بالنسبة له حينئذ من أجل حثهم-أي الولاش- علي المشاركة في الحملة الصليبية الثالثة التي أعلن عن قيامه بها، بعد ذلك لجأ الولاش إلى البابا إنوسنت الثالث Innocent III (١١٩٨-١٢١٦م) في روما، وطلبوا منه مساعدتهم في الإعتراف بدولتهم وهو الذي قام بمساعدتهم بالفعل من أجل الحصول على اعتراف بدولتهم ودمجها في النظام السياسي الدولي(٨٢).

الخـــاتمة

من العرض السابق نستنتج الآتي:

أولاً: لم تكن ثورة الولاش في لاريسا عام١٠٦٦م هي الثورة الوحيدة التي قامت في القرن الحادي عشر الميلادي ضد الدولة البيزنطية بسبب مغالاة الأباطرة في فرض الضرائب، بل سبقتها عدة ثورات وعلي سبيل المثال ما حدث في بلغاريا مثل ثورة "بيتر داليان" عام ١٠٤٠م، وقسطنطين بودين عام١٠٧٢م.

ثانياً: ذكر المؤرخ كيكومينوس ثورة الولاش في لاريسا عام ١٠٦٦م في كتابه "المشورة"وحاول من جانبه تبرير خطأ قريبه نيقوليتاس بالإشتراك في الثورة ضد الإمبراطور قسطنطين العاشر دوكاس وحاول إظهاره بمظهر الشخص المخلص الأمين للعاهل البيزنطي.

ثالثاً: كان نيقوليتاس ديلفيناس منذ البداية رافضاً المشاركة في الانتفاضة أو قيادة جموع ثوار لاريسا لولا قيام الأخيرين بتهديده بالتعرض له بالأذي

ولأقاربه فاضطر للقبول علي غضاضة منه قيادة التمرد.

رابعاً: حاول الإمبراطور البيزنطي قسطنطين العاشر دوكاس من جانبه تقليل نسبة الضرائب المفروضة في بداية حكمه حتي أنه قد قام بإلغاء قرارات الأباطرة السابقين له، بيد أنه وبسبب اشتداد هجمات كل من: الاتراك السلاجقة، والكومان، والنورمان علي أراضي الدولة البيزنطية، لجأ إلي نفس سياسة فرض الضرائب من جديد لتمويل الجيش من أجل محاربة أعداء الإمبراطورية والذود عن أراضيها.

خامساً: أرسل نيقوليتاس عدة نداءات تحذيرية للإمبراطور من مغبة اشتعال نيران الثورة في لاريسا بسبب المغالاة في فرض الضرائب، لكن الأخير لم يسمع لكلامه وضرب به عرض الحائط.

سادساً: انتهي أمر انتفاضة الولاش في مدينة لاريسا بالفشل الذريع لا سيما بعد أن حنث الإمبراطور قسطنطين العاشر بوعده لنيقوليتاس وزج به في غيابات السجن.

سابعاً: ظل نيقوليتاس في محبسه بمدينة أماسية بآسيا الصغري إلي أن قام بإطلاق سراحه الإمبراطور رومانوس الرابع ديوجينوس وقام بتعيينه في وظيفة مرموقة في الأسطول البيزنطي.

ثامناً:علي ما يبدو أنه كان هناك ثمة اتصالات بين نيقوليتاس ورومانوس الرابع ديوجينوس خاصة وأن الأخير كان يرتب –في الوقت الذي قام فيه نيقوليتاس بالتمرد في لاريسا– للقيام بالانقلاب ضد الإمبراطور قسطنطين العاشر من أجل الاستيلاء علي العرش منه.

الهوامش:

(1) Luttwak (E. N) :The Grand Strategy of the Byzantine Empire, Harvard University Press 2009, p. 387.

(٢) إقليم مقدونيا: يقع في شمال شرق شبه جزيرة البلقان، كان يسكنه منذ القدم خليط من الأجناس، وكان في الماضي إقليمًا مستقلاً يحكمه فيليب الثاني المقدوني ثم أبنه الإسكندر الأكبر الذي نجح في أن يضم إليه معظم بلاد اليونان. وقد كانت سالونيك عاصمة إقليم البلقان في العصر الروماني. انظر: السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية، القاهرة،١٩٦٥م، ص ٣٢٧.

(3) Kazhdan, A.(Ed.): **O.D. B**., Vol.2,Oxford and New York:Oxford University Press 1991, p. 1119.

(٤) ميخائيل الخامس: ولد في عام ١٠١٥م وهو ابن أخ الإمبراطور ميخائيل الرابع بالتبني، حاول خلال فترة حكمه تهميش زوي صاحبة الفضل عليه في الوصول للعرش الإمبراطوري لكن تمردًا شعبيًا ضده أجبره إلي إعادتها كإمبراطورة في ١٩ أبريل عام ١٠٤٢م مع شقيقتها ثيودورا وتم خلعه في اليوم التالي. انظر : دونالد نيكول: معجم التراجم البيزنطية، ترجمة: حسن حبشي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٣م، ص ص ١٥٥-١٥٦.

(٥) الثيم (أو الثغور): نظام يقصد به مرابطة بعض فرق الجنود من الفلاحين في إقليم ما بغرض الدفاع عنه ،وكانت كلمة ثيمة تعني في الأصل جزءًا من الجنود، وأطلقت فيما بعد علي المنطقة الإدارية التي يحكمها قائد قسم أو فرقة من الجيش، ووصفها البعض بأنها دولة مصغرة لها جيشها وشرطتها وإدارتها الخاصة،ثم تلي ذلك تعيين قائد للجند يعرف بإسم استراتيجوسStrategos وكان يجمع بين السلطتين الدينية والعسكرية بالإقليم ،فصارت الأقاليم تعرف تبعاً لذلك بإسم الأجناد أو الثغور ،وأول إمبراطور أنشأ هذا النظام هو الإمبراطور هرقل Heraclius (٦١٠-٦٤١م) ،حيث أنشأ أول ثغر عرف بإسم ثغر الأرمنياك Armaniacos في شمال شرق آسيا الصغري. انظر:

Theophanes Confessor: The chronicle. Translated by: Mango, Cril & scott,

Roger , Oxford 1997, pp.447-457.

انظر كذلك: السيد الباز العريني: أجناد الروم، القاهرة١٩٥٦م، ص٥.

(٦) قسطنطين التاسع مونوماخوس:ولد في عام ١٠٠٠م من أصل أرستقراطي، قام الإمبراطور ميخائيل الرابع Michael IV (١٠٣٤-١٠٤١م) بنفيه إلي جزيرة ليسبوس Lesbos وقد عاد بعد أن تم اختياره زوج الأميرة المقدونية "زويZoe" في عام ١٠٤٢م، كان محبا للإسراف واللهو وقد شاركته "زوي" في هذا الأمر مما أدي إلي إفلاس الخزانة الإمبراطورية، وكان قسطنطين التاسع يحكم من الناحية الإسمية بالإتفاق من الشقيقتين المقدونيتين زوي وثيودورا، أيد قسطنطين التاسع الطبقات التجارية مما أدي إلي عزل الطبقة الأرستقراطية العسكرية، وقد تميز حكمه بهجمات البشناق the Pechenegs في البلقان والأتراك السلاجقة في الشرق. انظر: ODB, . Vol.1, p.504

(7) Buckler(G):"Authorship of the Strategikon of Cecaumenus", In, **B.Z**, Vol.36, No.1, Berlin: Boston, De Gruyter,1936,pp. 7-26.

(٨) ميخائيل أطالياطيس: مؤرخ ولد في مدينة أطاليا Attaleia بآسيا الصغري بين عامي ١٠٢٠م إلي عام١٠٣٠م حيث أخذ أسمه منها،وتوفي حوالي عام ١١٨٥م. ينتمي إلي أصل متواضع.شغل أطالياطيس وظائف مرموقة في الدولة البيزنطية،حيث صار عضواً من أعضاء مجلس السيناتو senator، ثم قاضياً،كان معاصراً في فترة شبابه وربما كان طالباً لدي المؤرخ ميخائيل بسللوس. في عام ١٠٧٢م ، قام ميخائيل أطالياطيس بتجميع ملخص للقانون للإمبراطور ميخائيل السابع Michael VI (١٠٧١-١٠٧٨م) عرف باسم "بونيما نومكون" Ponema Nomikon، استنادًا إلى بازيليكا أواخر القرن التاسع الميلادي. بالإضافة إلى ذلك، وضع أطالياطيس التنظيم لملجأ الفقراء أوالدير،الذي أسسه في القسطنطينية في منتصف عام١٠٧٠م. يعتبر هذا العمل، المعروف باسم "تنظيم" Diataxis، ذا قيمة للباحثين في التاريخ الاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي، والديني لبيزنطة في القسطنطينية والمقاطعات المجاورة خلال القرن الحادي عشر الميلادي، كما يوفر معلومات قيمة فيما يتعلق بحياة ميخائيل أطالياتيس نفسه، حيث يحتوي على فهرس بالكتب المتوفرة في مكتبة الدير، مع تقديم تفاصيل حول ثروة المؤسس في العاصمة وفي تراقيا. ومن الكتاب سابق الذكر، نتعلم أن أطالياطيس حاز علي العديد من العقارات (سواء المزارع أو العقارات الحضرية) في

القسطنطينية. انظر : ODB,Vol.1,p.219.

(٩) ميخائيل بسللوس: فيلسوف وسياسي ومؤرخ بيزنطي، ولد في عام١٠١٨م وقد اختلف المؤرخون حول سنة وفاته حيث ذكر البعض أنها في عام ١٠٧٨م بينما أرجعها البعض الآخر إلي سنة ١٠٩٦م ، ألف حوليته التي تناول فيها تاريخ الدولة البيزنطية بين عامي ٩٧٦–١٠٧٨م .انظر: رأفت عبد الحميد: "ميخائيل بسللوس من خلال كتابه التاريخ الزمني"، بحث منشور ضمن كتاب: بيزنطة بين التاريخ والفكر والسياسة، القاهرة ،١٩٩٧م ، ص٢٨٥.

(١٠) لاريسا: المركز الإداري والكنسي في تساليا،وتقع على الضفة اليمنى لنهر Pencios، عند تقاطع الطرق الرئيسية في تساليا.عانت المدينة من هجوم قام به القوطيون في نهاية القرن الخامس الميلادي،ولكن أعيد بناؤه تحت حكم الإمبراطور جستنيان الأول Justinian I(٥٢٧-٥٦٥م)،ثم "قسطنطين السابع بورفيريجنيتوس "(٩١٣-٩٥٩م) Constantine VII Porphyrogennetos. انظر: ODB,Vol.2,p.118

(11) Madgearu (A):"Românii şi armata bizantină",In,**R. I.M**.,Vol. 1-2 , 2013, p.29.

(١٢) ديفيد قيصر بلغاريا: (توفي عام ٩٧٦م) كان نبيلاً بلغاريًا، وشقيقاً للإمبراطور صموئيل والابن الأكبر لكوميس نيقولاس komes Nicholas.بعد الغزو المفجع لجيوش الروس Rus وسقوط شمال شرق بلغاريا تحت الإحتلال البيزنطي في عام ٩٧١م، تولى هو وأشقاؤه الثلاثة الصغار قيادة الدفاع عن البلاد. لقد نفذوا سلطتهم معًا وحكم كل منهم ودافع عن منطقة منفصلة. حكم ديفيد الجزء الجنوبي من المملكة من بحير بريسبا Prespa وكاستوريا Kastoria ، وكان مسؤولاً عن الدفاع عن الحدود مع تسالونيك Thessalonica وتساليا. في عام ٩٧٦م شارك في الهجوم الكبير ضد الإمبراطورية البيزنطية ، لكنه قُتل على يد الولاش الرحل بين بحيرة بريسبا وكوستوريا.انظر:

Stepanos Asoghik de Taron:L'histoire universelle, Paris 1859,p.421.

(13) Skylitzes (J.): A Synopsis,p. 329.

(14) Gyóni (M): "La transhumance des Vlaques balcaniques au Moyen Âge", In, **Byza**, Vol. 12,1951,pp.38-39.

(١٥) الأرغون: استخدمت تلك الكلمة في العصور القديمة في المقام الأول كمرادف لكلمة

الماجستير megistares بمعني الحاكم.أما في العصر البيزنطي فقد كانت الكلمة مرادفا لكلمة الماجستير أو الديناتوي dynatoi . وهذا المصطلح بمعني المسؤولين الذين يمتلكون السلطة. وعلى حد تعبير سيمون اللاهوتي Symeon the Theologian، كان الأراغنة –جمع أرغون–هم الذين يملكون الشرف (الزمان) والسلطة (arche). وقام بتعريف الإستراتيجوس والأرغون على أنهما خدم الإمبراطور وأصدقائه الذين–على عكس الأشخاص العاديين–كانوا على اتصال شخصي بالملك. بعض المرؤوسين من المسؤولين رفيعي المستوى (على سبيل المثال، الاستراتيجوس) كان يطلق عليهم أيضاً اسم أرغون. انظر: ODB,Vol.1,p.160.

(16) Kekaumenos: Vademecum des byzantinischen Aristokraten. Das sogenannte Strategikon des Kekaumenos, übersetzt, eingeleitet und erklärt von H. G. Beck, Graz: Styria 1956 ,p . 140 .

(17) Oikonomides (N): Les listes de préséance byzantines des IXe et Xe siècles, Paris:Éditions du Centre national de la recherche scientifique,1972, pp.264-265.

(١٨) كاتيبانو: لقب أستخدم عادة ليشير إلي قائد وحدة عسكرية وهو مشابه للقب الأستراتيجوس، وكان يشير عادة إلي حاكم ولاية كبيرة في الدولة البيزنطية خلال القرن العاشر الميلادي. وقد اختفي هذا اللقب بالمعني سالف الذكر وظل يشير فقط إلي حاكم محلي. انظر: ODB,Vol.2,p.111.

(19) Koulouras (G. A):"Byzantine Larisa and its region from the 6th century to 1204", A thesis submitted for the degree of Master of Philosophy, Scotland: University of St. Andrews , 1994,p.41.

(20) Psellus (M.): The History,p.245.

(٢١) سهام عبد العظيم:الثورات والفتن، ص ٥٢.

(٢٢) نورمان بينز:الإمبراطورية البيزنطية. ترجمة: حسين مؤنس وآخر، القاهرة،١٩٥٠م، ص ص١٢٥–١٢٦.

(23) Ashburner(W):" The Farmer's Law",In, J.H.S.,Vol. 32,1912,p.84.

(٢٤) قسطنطين العاشر دوكاس: ولي العرش نتيجة التحالف بين الكنيسة والحزب المدني، الذي نجح في إنهاء حكم أسرة كومنين. كان قسطنطين دوكاس صديقاً مقرباً لكل من المؤرخ والفيلسوف ميخائيل بسللوس، والبطريرك "قسطنطين ليخوديس"، وتزوج من "إيدوكيا ماكرومبوليتيسا" Eudokia Makrembolitissa أبنة أخت "ميخائيل كريولاريوس"

Michael Keroularios بطريرك القسطنطينية(١٠٤٣-١٠٥٩م).وكان خلع كومنين وتولية قسطنطين دوكاس بتدبير من المؤرخ بسللوس، الذي بادر بوضع الخف الأحمر في قدمي الإمبراطور الجديد، وقد تحقق بذلك غرض بسللوس، حيث صار هو المسيطر علي سياسة الإمبراطورية البيزنطية باعتباره مستشارا للإمبراطور ومربيًا لأبنه وخليفته من بعده.وقد أشتد إعجاب الإمبراطور بشخص بسللوس بحيث صار لا يطيق فراقه ويعتمد عليه في كل ما يرجوه من نصيحة. انظر:السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية، ص ص ٨٢٨-٨٢٩.

(٢٥) أسحق الأول كومنين :عاش في كنف الإمبراطور باسيل الثاني منذ طفولته ثم انخرط في سلك الحياة العسكرية حتي صار أحد القادة الساخطين علي زيادة النفوذ البيروقراطي المدني،وما لبث أن نادي به جنده إمبراطورًا في "بافلاجونيا" في شهر يناير عام ١٠٥٧م وقد حمله ميخائيل السادس علي التنازل عن العرش.لقد تم تتويج أسحق الأول كومنين علي يد البطريرك"ميخائيل الأول كيرولاريوس" لكن لم يلبث أن دب بينهما الشقاق الذي أتصف بالعنف والشدة. انظر: دونالد نيكول:معجم التراجم،ص ص ٧٠-٧١.

(٢٦) آمال حامد زيان: "زلزال عام ١٠٦٣م بالدولة البيزنطية: في ضوء ما سجله المؤرخ البيزنطي ميخائيل أطالياطيس في تاريخه"، بحث منشور في حولية آداب عين شمس، مج٤٥ ، ٢٠١٧م ، ص٣.

(27) Psellus (M.): The History, p.254.

(28) Ostrogorsky (G.): History of the Byzantine State,London 1969, pp.242-243.

(٢٩) النوميسما: عملة من الذهب الخالص تزن أربعة جرامات وثلاثة وأربعين جزءاً من الجرام تقريبًا. انظر: محمود سعيد عمران: النقود في أوروبا العصور الوسطي. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية،٢٠١١م،ص ١٠.

(٣٠) نقفور الثالث بوتانياتيس: أحد أفراد الطبقة الأرستقراطية العسكرية في آسيا الصغري والحاكم لإقليم الأناضول، كان من بين المتمردين والمتطلعين إلي العرش الإمبراطوري في القسطنطينية علي أثر السياسة الاقتصادية والعسكرية السيئة في عهد الإمبراطور

ميخائيل السابع. نادي جنود نقفور بوتانياتس به إمبراطوراً في مدينة نيقية في شهر يناير عام ١٠٧٨م، وفي شهر مارس من السنة نفسها دخل القسطنطينية وقام بخلع ميخائيل السابع الذي لبس مسوح الرهبان وتزوج نقفور بوتانياتيس من امرأته. ظهر في عهده العديد من المتنازعين علي العرش الإمبراطوري، نجح أحدهم وهو "الكسيوس الأول كومنين" Alexios I Komnenos (١٠٨١-١١١٨م) فى إحراز النصر وتولي العرش الإمبراطوري في القسطنطينية. انظر: دونالد نيكول: معجم التراجم ، ص ص١٦٤-١٦٥.

(31) Grierson (Ph):The debasement of the Bezant in the eleventh century,Paris: International Congress of Numismatics,1953,p.379.

(٣٢) ستيفن رنسيمان: الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، ٢٠١٠م، ص٥٨.

(33) Ostrogorsky(G):History of the Byzantine, p.306..

(34) Attaleiates (M.): The History, pp. 83-85.

(35) Treadgold (W): A history of the Byzantine State and Society,Stanford 1997, pp.600-601; Lemerle (P): The Byzantine World, Routledge 2010, pp.270-271.

(٣٦) سهام عبد العظيم: الثورات والفتن، ص ٥٩.

(٣٧) تمثلت الطبقة الأرستقراطية المدنية في الدولة البيزنطية خلال القرن الحادي عشر الميلادي في جماعة البيروقراطيين (أي الموظفين) المدنيين الذين ألتحقوا بالجهاز الإداري للدولة البيزنطية منذ عهد الإمبراطور قسطنطين الثامن (١٠٢٥-١٠٢٨م) وهو الذي أعتمد عليهم اعتمادًا كبيرًا مما ساعد علي تقوية تلك الطبقة حتي قبضوا علي زمام الأمور وصار الحكم بأيديهم، ومنذ ذلك الوقت أشتد الصراع بينهم وبين الطبقة الأرستقراطية العسكرية. انظر:

Vryonis(S):The decline of medieval Hellenism in Asia minor and the process of Islamization from the Eleventh through the fifthenth century, London 1971, p.337.

(٣٨) شملت الطبقة الأرستقراطية العسكرية مجموعة الأمراء وكبار رجال الإقطاع العسكريين الذين بدأ ظهورهم منذ القرن التاسع الميلادي وتركزوا في الأقاليم الحيوية في بيزنطة، وقد حاول الإمبراطور باسيل الثانيBasil II (٩٧٦ – ١٠٢٥م) الحد من تأثيرهم ونفوذهم بشتي الطرق والوسائل وقام بإصدار عدة تشريعاات لحماية صغار المُلاك والفلاحين منهم.انظر:وسام عبد العزيز فرج: "قوانين الملكية الزراعية فى الأمبراطورية

البيزنطية فى القرن العاشر الميلادى: دراسة تحليلية"، ندوة التاريخ الأسلامى والوسيط، المجلد الثانى،القاهرة، ١٩٨٣م، ص٣٠١.

(٣٩) السيد الباز العريني: الدولة، ص ص٨٣٠-٨٣١.

(٤٠) سهام عبد العظيم: الثورات والفتن، ص ٥٩.

(٤١) آمال حامد زيان: "زلزال عام ١٠٦٣م ، ص٣.

(42) Lazarou(A): L'aroumain et ses rapports avec le grec,Thessaloniki:Institute for Balkan Studies 1986,p.307.

(43) Tanaşoca (N.Ş):"Aperçus of the History of Balkan Romanity", Studies on Science and Culture. Editor of the Series: Leland Conley Barrows, Bucharest 2001, p.119.

(44) Murnu (G): Românii din Pind între anii 1204-1259, Convorbiri literare 40, 1906, pp. 130 -147.

(45) Kekaumenos: Vademecum, p. 117.

(46) Gyóni(M):"L'oeuvre de Kekauménos, source de l'histoire roumaine*"*.In**, R.H.C**., Vol.23,1945, p.118.

(47) Lazarou (A):"La révolte des Larisséens en 1066",In, La Thessalie. Actes de la Table-Ronde, 21-24 juillet, Lyon 1979 , p.307.

(٤٨) إحدي الوظائف الرفيعة في البلاط البيزنطي خلال القرنين الثامن والقرن الثاني عشر الميلادي. انظر:

ODB,Vol.3,p.1748.

(49) Madgearu (A):"The Military Organization of Paradunavon ", In, **Byz**.,Vol. 60, Praga 1999, p.425-431.

(50) Kühn (H.J): Die Byzantinische Armee im 10. und 11, Jahrhundert: Studien zur Organisation der Tagmata, Byzantinische Geschichtsschreiber,1991, pp. 240-241.

(51) Lemerle (P):"Prolégomènes à une édition critique et commentée des « Conseils et Récits » de Kékauménos (Académie Royale de Belgique, Classe des Lettres et des Sciences Morales et Politiques, Mémoires), T.54, Bruxelles 1960, p.50.

(52) Madgearu (A): Vlach Military,p.49.

(53) Kekaumenos: Vademecum ,p.117 .

(54) Cheynet(J.C):Pouvoir et contestations à Byzance (963-1210),Paris 1990,p.72.; idem:"Le rôle de l'aristocratie locale dans l'État (X-XIIe siècle,In, **B.F**., Vol.19, Amsterdam 1993, p. 304.

(55) Lemerle (P):Prolégomènes, p. 50.

(٥٦) أميرة مصطفي أمين يوسف: العداء بين النورمان والبيزنطيين وأثره علي موقف

الأميرين النورمانيين بوهيمند وتانكرد من إمبراطور القسطنطينية أثناء تقدم الحملة الصليبية الأولي عام ١٠٩٧م، مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا، عدد٢٦، ج٢، عام٢٠١٣م، ص٨٥٤.

(57) Treadgold(W):Byzantium and its Army 284-1081, Stanford 1995,pp.104,122.
(58) Kekaumenos: Vademecum,p.68.; Bréhier(L.):Les institutions de l'Empire Byzantin,Paris 1949, p.354.
(59) Koulouras (G. A):Byzantine Larisa, p.49.
(60) Kekaumenos: Vademecum, p.69.
(61) Ahrweiler(H):" L'escale dans le monde byzantine",In,**R. S. J. B**., ,Vol.32,In, Idem. Byzance : les pays et les territoires, Variorum, London 1976,, p.117.
(62) Lefort(J):"Rural Economy and Social Relations in the Countryside",In,**D.O.P**., Vol. 47, 1993,p. 113.
(63) Koulouras (G. A):Byzantine Larisa, pp.51-52.
(64) Oikonomides (N):Les listes,p.330.
(65) Angold (M): The Byzantine Empire,1025-1204, A Political History, London, New York 1984, p.69.
(66) Treadgold (W): Byzantium,pp.104,122.
(67) Lazarou (A): La révolte,p.309.
(68) Kekaumenos: Vademecum,pp.119-123.
(69) Djuvara (N):"Sur un passage controversé de Kékauménos",In, **R. R. H**.,Vol.30, Romanian Academy : Publishing House of the Romanian Academy 1991, pp. 23-66.

(٧٠) رومانوس الرابع ديوجينوس: بوفاة الإمبراطور قسطنطين العاشر دوكاس في شهر مايو سنة ١٠٦٧م، انتقل العرش إلى زوجته إيدوكيا Eudokia، التي كان عليها أن تقوم بالوصاية على أبنائها الصغار: ميخائيل، وأندرونيقوس، وقنسطنطين Constantine. والوقع أن الحكومة صار يسيرها بسللوس والقيصر حنا دوكاس John Doukas، شقيق الإمبراطور الراحل. وفي تلك الأثناء ازدادت قوة المعارضة من جراء ما وقع من كوارث على أطراف البلاد واشتدت الحاجة إلى قيام حكومة عسكرية فلم يسع الإمبراطورة إيدوكيا إلا أن تتزوج من القائد رومانوس ديوجينوس، من زعماء كبادوكيا Cappadocia، فجرت المناداة به إمبراطوراً في شهر يناير عام ١٠٦٨م. انظر: السيد الباز العريني: الدولة ، ص ٨٣١.

(71) Curta (F):Southeastern Europe in the Middle Ages, 500-1250, Cambridge 2002, p.280.

(٧٢) نقفورتزيس: أحد الخصيان الذين كانوا موجودين في الدولة البيزنطية والمشهود لهم بالدهاء والذكاء، تولي حكم اليونان والبلوبونيز في عهد الإمبراطور قسطنطين العاشر،

وبعد أن قدمه القيصر يوحنا دوكاس للإمبراطور ميخائيل السابع قلده الأخير منصب اللجوثيت.كان نقفورتزيس يخفي أطماعه إلي أن تمكن من فرض سيطرته علي كل أمور الحكم والبلاط وأبعد الجميع عن الإمبراطور، وقد توفي في عام ١٠٧٨م. انظر:

Attaliata(M.): The History,pp.204-206.

(73) Koulouras (G. A):Byzantine Larisa,p.52.

(74) Madgearu (A):" Urban Unrest and Centrifugal Actions in Thessaly (1066)",In, **R. I. S**.,Vol.8-9, 2006,p.35.

(75) Kekaumenos: Vademecum,pp123124.; Diaconu(P): Les Petchénègues au bas-Danube,Bucarest: Editions de l'Académie de la République Socialiste de Roumanie 1970, pp.93-96.

(76) Madgearu (A): Urban Unrest,p.39.; Lemerle (P) :Prolégomènes,p. 49.

(77) Chalandon (F):Essai sur le règne d'Alexis I Comnène (1081-1118), Paris 1900,pp.60, 85-86.

(78) Alexander (P.J):"Historical interpolations in the Zbornik popa Dragolia",In, Alexander Religious and Political History and Thought in the Byzantine Empire,Vol.XVI , 1976,p.30.

(79) Madgearu (A): Urban Unrest,p.33.

(80) Ferluga (J):"Aufstände im byzantinischen Reich zwischen den Jahren 1025 und 1081: Versuch einer Typologie",In,**R. S. B. S**.,Vol.5,1985,p. 156.

(81) Inoue (K): "A Provincial Aristrocatic Oikos in Eleventh-Century Byzantium", In, **G.R. B. S**.,Vol. 30,1989, pp. 551-559.

(82) Tanaşoca (N-Ş): Aperçus,p.128.

(ملحق ١)

خريطة مدينة لاريسا والمناطق المجاورة لها في العصور الوسطى

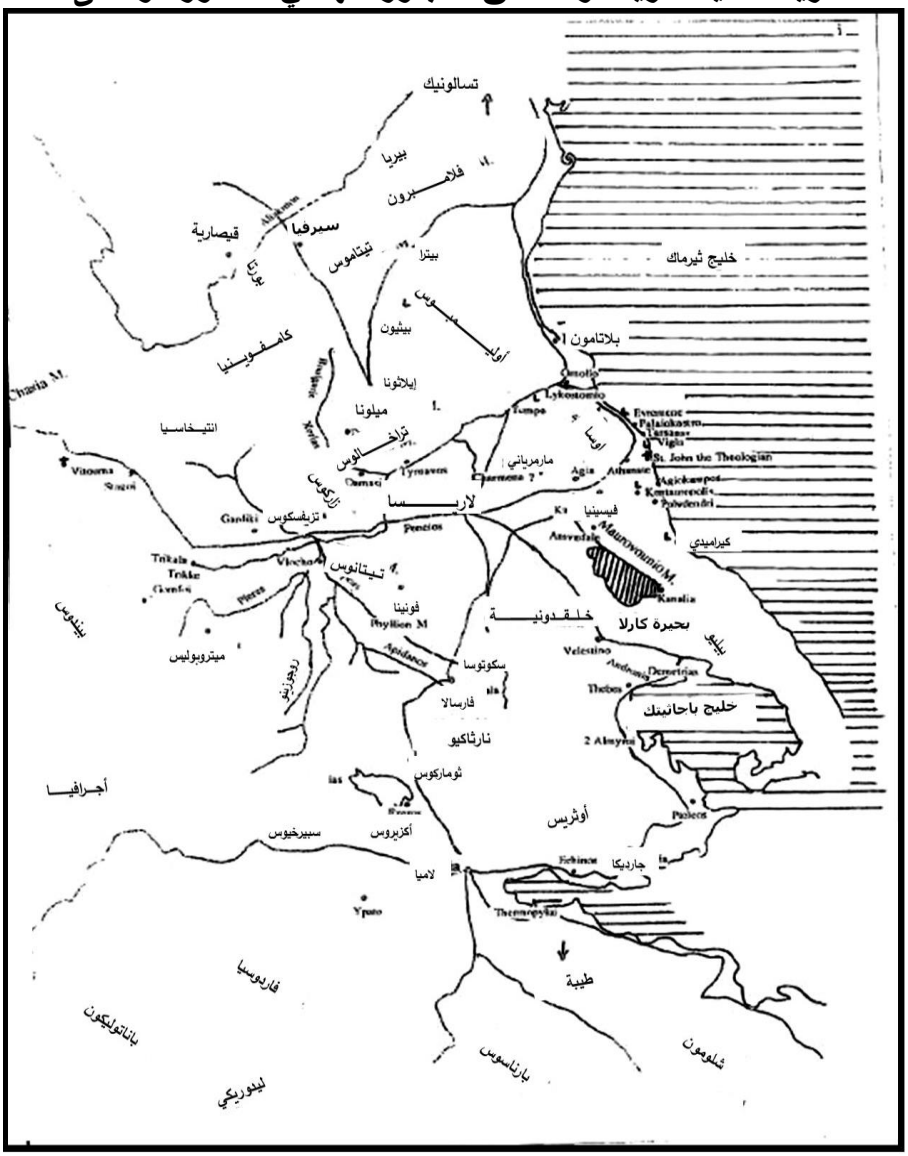

see: Koulouras (G. A.): Byzantine Larisa ,p.121.

١-قائمة الإختصارات الواردة خلال البحث:

-**B.F**: Byzantinische Forschungen.

-**Byza**: Byzantinoslavica.

- **B.Z**:Byzantinische Zeitschrift.

-**D. O. P**: Dumbarton Oaks Papers.

- **G.R.B.S**: Greek Roman and Byzantine Studies.

- **J.H.S**: Journal of Hellenic Studies.

-**J .S**: Journal des Savants.

O.D.B: The Oxford Dictionary of Byzantium.

- **R.H**: Res Historica.

- **R.H.C**: Revue d'Histoire Comparée.

-**R.I.M**: Revista de Istorie Militară.

-**R.I.S**: Revista de Istorie Socială.

-**R.R.H**: Revue Roumaine d'Histoire.

-**R.S.B.S**: Rivista di Studi Bizantini e Slavi.

-**R.S.J.B**: Recueils de la Société Jean Bodin.

-**Spec**: Speculum.

مصادر ومراجع البحث

أولاً-المصادر الأجنبية:

Attaleiates(M):
- The History.trans by:Kaldellis,A & Krallis,D.,In, D. O. P.L., Vol. 16, London, Harvard University 2012.

Kekaumenos:
- Vademecum des byzantinischen Aristokraten. Das sogenannte Strategikon des Kekaumenos, übersetzt, eingeleitet und erklärt von H. G. Beck .Graz: Styria 1956.

Psellos(M):
- The History of Psellus: Sathas, C.(Ed.),London 1899.

Skylitzes(J.):
- A Synopsis of Byzantine History, 811-1057, trans. By : Wortley(J), Cambridge University Press 2010.

Stepanos Asoghik de Taron:
- L'histoire universelle ,Paris 1859.

Theophanes Confessor:
- The chronicle, Translated by: Mango, Cril & scott, Roger,Oxford 1997.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

Ahrweiler (H.) :
- "L'escale dans le monde byzantine",In,R. S.J. B ,Vol. 32 ,In , Idem:Byzance: les pays et les territoires, Variorum London 1976.

Alexander(P.J.):
- "Historical interpolations in the Zbornik popa Dragolia"., In Alexander, Religious and Political History and Thought in the Byzantine Empire. Pt.XVI,1976 ,pp.23- 38.

Angold (M.J.):
- The Byzantine Empire,1025-1204, A Political History, London, New York 1984.

Ashburner (W.):
- "The Farmer's Law",In, J. H. S.,Vol. 32,1912,pp. 68-95.

Bréhier (L.):
- Les institutions de l'Empire Byzantin,Paris 1949, p.354.

Buckler (G.):
- " Authorship of the Strategikon of Cecaumenus",In, B. Z,Vol .36 , No 1 , Berlin:Boston, De Gruyter 1936, pp. 7-26.

Chalandon (F.) :
- Essai sur le règne d'Alexis I Comnène (1081-1118),Paris 1900.

Cheynet (J.C.):
- Pouvoir et contestations à Byzance (963-1210),Paris 1990.
- "Le rôle de l'aristocratie locale dans l'État (X-XIIe siècle) ",In, B. F., Vol.19,Amsterdam 1993.

Curta (F.):
- Southeastern Europe in the Middle Ages, 500-1250, Cambridge 2002.

Czamańska (I.):
- "Vlachs and Slavs in the Middle Ages and Modern Era",In,R.,Vol.41,Lublin: Uniwersytet Marii Curie- Skłodowskiej 2016,pp. 11-24.

Diaconu (P.):
- Les Petchénègues au bas-Danube. Bucarest: Editions de l'Académie de la République Socialiste de Roumanie 1970.

Djuvara(N):
- "Sur un passage controversé de Kékauménos",In, R. R. H., Vol.30, Romanian Academy:Publishing House of the Romanian Academy 1991.

Ferluga (J.):
- "Aufstände im byzantinischen Reich zwischen den Jahren 1025 und 1081: Versuch einer Typologie",In,R. S. B. S., Vol.5, 1985, pp.137-168.

Grierson (Ph.):
- The debasement of the Bezant in the eleventh century,Paris: International Congress of Numismatics,1953.

Gyóni, (M.):
- "L'oeuvre de Kekauménos, source de l'histoire roumaine",In,R. H. C.,Vol. 23, 1945, pp. 96–180.
- -"La transhumance des Vlaques balcaniques au Moyen Âge",In, Byz. , Vol . 12, 1951 , pp.29-42.

Inoue (K):
- "A Provincial Aristrocatic Oikos in Eleventh-Century Byzantium",In,G. R.B.S.,Vol. 30,1989,pp. 545- 569.

Kazhdan, A.(Ed.):
- The Oxford Dictionary of Byzantium.3voles.Oxford and New York: Oxford University Press,1991.

Koulouras (G. A.):
- "Byzantine Larisa and its region from the 6th century to 1204", A thesis submitted for the degree of Master of Philosophy), Scotland: University of St. Andrews 1994.

Kühn(H. J):
- Die Byzantinische Armee im 10. und 11. Jahrhundert: Studien zur Organisation der Tagmata. (Byzantinische Geschichtsschreiber), 1991.

Lazarou (A):
- "La révolte des Larisséens en 1066",In, La Thessalie. Actes de la Table-Ronde, 21-24 juillet, Lyon 1979.pp.303-318.
- L'aroumain et ses rapports avec le grec.Thessaloniki:Institute for Balkan Studies, 1989.

Lefort, (J.):
- " Rural Economy and Social Relations in the Countryside",In,D. O. P, Vol .47 , 1993.

Lemerle (P.):
- "Prolégomènes à une édition critique et commentée des « Conseils et Récits» de Kékauménos (Académie Royale de Belgique, Classe des Lettres et des Sciences Morales et Politiques, Mémoires, t. 54, Bruxelles 1960, pp. 579-581.
- The Byzantine World, Routledge 2010.

Luttwak (E.N):
- -The Grand Strategy of the Byzantine Empire. Harvard University Press 2009.

Madgearu (A.):
- "The Military Organization of Paradunavon", In, Byza, Vol.60, Praga 1999, pp.421-446.
- " Urban Unrest and Centrifugal Actions in Thessaly (1066)",In, R. I. S.,Vol. 8-9, 2006 , pp . 32-41.
- "Românii şi armata bizantină",In,R. I. M,Vol.1-2,2013,pp.29-34.
- "Vlach Military Units in the Byzantine Army" ,In, Samuel's State and Byzantium: History, Legend, Tradition, Heritage. Proceedings of the International Symposium"Days of Justinian I"

(Skopje,17-18 October, 2014) .Panov ,M.B.(Ed.),Skopje 2015, pp .47-55.

Murnu (G.):

- Românii din Pind între anii 1204-1259. Convorbiri literare,40,1906.

Oikonomides (N.):

- Les listes de préséance byzantines des IXe et Xe siècles, Paris:Éditions du Centre national de la recherche scientifique 1972.

Ostrogorsky (G.):

- History of the Byzantine State, London 1969.

Ransohoff (J.):

- "Consider the Future as Present:The Paranoid World of Kekaumenos" ,In,Spec. Vol. 93,No. 1 , U.S.A:University of Chicago Press 2018,pp.77-91.

Tanaşoca (N.Ş.):

- "Aperçus of the History of Balkan Romanity". In Studies on Science and Culture. Editor of the Series: Leland Conley Barrows, Bucharest 2001,pp.94-170.

Treadgold, (W.).

- Byzantium and its Army. 284-1081, Stanford 1995.
- A history of the Byzantine State and Society, Stanford 1997.

Vryonis (S.):

- The decline of medieval Hellenism in Asia minor and the process of Islamization from the Eleventh through the fifthenth century, London 1971.

ثالثاً- المراجع العربية والمعربة:

آمال حامد زيان:

- "زلزال عام١٠٦٣م بالدولة البيزنطية: في ضوء ما سجله المؤرخ البيزنطي ميخائيل أطالياتيس في تاريخه"، حولية آداب عين شمس، مج٤٥، ٢٠١٧م، ص ص١-٢٧.

أميرة مصطفي أمين يوسف:

- العداء بين النورمان والبيزنطيين وأثرةهعلي موقف الأميرين النورمانيين بوهيمند وتانكرد من إمبراطور القسطنطينية أثناء تقدم الحملة الصليبية الأولي عام١٠٩٧م، مجلة كلية

الآداب، جامعة طنطا، عدد٢٦، ج٢، عام٢٠١٣م، ص ص٨٤٨-٩١٠.

السيد البازالعريني:

- أجناد الروم، القاهرة ١٩٥٦ م
- الدولة البيزنطية٣٢٣ -١٠٨١م، القاهرة ١٩٦٥م.

دونالد نيكول:

- معجم التراجم البيزنطية. ترجمة: حسن حبشي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٣ م.

رأفت عبد الحميد:

- "ميخائيل بسللوس من خلال كتابه التاريخ الزمني"، بحث منشور ضمن كتاب: بيزنطة بين التاريخ والفكر والسياسة، القاهرة ١٩٩٧م، ص ص٢٥٣-٣٢٢.

ستيفين رنسيمان:

- الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٠م.

سهام محمد عبد العظيم:

- الثورات والفتن الداخلية فى الإمبراطورية البيزنطية وأثرهاعلى العلاقات البيزنطية الإسلامية فى القرن الحادى عشر الميلادى"،رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة المنيا ٢٠٠١م.

محمود سعيدعمران:

- النقود في أوربا العصور الوسطي، إسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠١١م.

نورمان بينز:

- الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة: حسين مؤنس وآخرين، القاهرة،١٩٥٠م.

وسام عبد العزيز فرج:

- "قوانين الملكية الزراعية فى الإمبراطورية البيزنطية فى القرن العاشر الميلادى: دراسة تحليلية"، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط، المجلد الثانى، القاهرة ١٩٨٣م، ص ص٢٩٩-٣٤٢.